

تفسير السعدي

@ 252 @ وهو أصدق المخبرين . وقد أقام على ذلك ، من الحجج والبراهين . ما يجعله حق اليقين . ولكن أبى الظالمون إلا جحودا ، وأنكروا قدرة الله على بعث الخلائق ، فأوضعوا في معاصيه ، وتجروا على الكفر به ، فخسروا دنياهم وأخراهم . ولهذا قال : ! 2 ^ . ! 2 وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم * قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين * قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * من يصرف عنه يومئذ رحمه وذلك الفوز المبين * وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير * وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير * قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي ه ذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) ^ اعلم أن هذه السورة الكريمة ، قد اشتملت على تقرير التوحيد ، بكل دليل عقلي ، ونقل . بل كادت أن تكون كلها ، في شأن التوحيد ، ومجادلة المشركين بالله ، المكذبين لرسوله . فهذه الآيات ، ذكر الله فيها ، ما يتبين به الهدى ، وينقمع به الشرك . فذكر أن ! 2 ! 2 ! تعالى ! 2 ! . وذلك هو المخلوقات كلها ، من آدميها ، وجنها ، وملائكتها ، وحيواناتها وجماداتها . فالكل خلق مدبرون ، وعبيد مسخرون لربهم العظيم ، القاهر المالك . فهل يصح في عقل ونقل ، أن يعبد من هؤلاء المماليك ، الذي لا نفع عنده ولا ضرر ؟ ويترك الإخلاص للخالق ، المدبر المالك ، الضار النافع ؟ أم العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، تدعو إلى إخلاص العبادة ، والحب ، والخوف ، والرجاء لله رب العالمين ؟ ! 2 ! 2 ! لجميع الأصوات ، على اختلاف اللغات ، بتفنن الحاجات . ! 2 ! 2 ! بما كان ، وما يكون ، وما لم يكن ، لو كان كيف كان يكون ، المطلع على الظواهر والبواطن ؟ ! 2 ! 2 ! لهؤلاء المشركين بالله : ! 2 ! 2 ! من هؤلاء المخلوقات العاجزة ، يتولاني ، وينصرني ؟ فلا أتخذ من دونه تعالى وليا لأنه ، فاطر السموات والأرض ، أي : خالقهما ومدبرهما . ! 2 ! 2 ! أي : وهو الرازق لجميع الخلق ، عن غير حاجة منه تعالى إليهم . فكيف يليق أن أتخذ وليا غير الخالق الرازق ، الغني ، الحميد ؟ ! 2 ! 2 ! بالتوحيد ، وانقاد له بالطاعة . لأنني أولى من غيري ، بامثال أوامر ربي . ! 2 ! 2 ! أي : ونهيت أيضا ، عن أن أكون من المشركين ، لا في اعتقادهم ، ولا في مجالستهم ، ولا في الاجتماع بهم ، فهذا أفرض الفروض علي ، وأوجب الواجبات . ! 2 ! 2 ! فإن المعصية في الشرك

، توجب الخلود في النار ، وسخط الجبار . وذلك اليوم ، هو اليوم الذي يخاف عذابه ،
ويحذر عقابه ؛ لأنه من صرف عنه العذاب يومئذ ، فهو المرحوم ، ومن نجا فيه ، فهو الفائز
حقا . كما أن من لم ينج منه ، فهو الهالك الشقي . ومن أدلة توحيده ، أنه تعالى ،
المنفرد بكشف الضراء ، وجلب الخير والسراء . ولهذا قال : ! 2 2 ! من فقر ، أو مرض ،
أو عسر ، أو غم ، أو هم أو نحوه . ^ (فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير ، فهو على كل
شيء قدير) ^ . فإذا كان وحده النافع الضار ، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية
والإلهية . ! 2 2 ! فلا يتصرف منهم متصرف ، ولا يتحرك متحرك ، ولا يسكن ساكن ، إلا بمشيئته
. وليس للملوك وغيرهم ، الخروج عن ملكه وسلطانه ، بل هم مدبرون مقهورون . فإذا كان هو
القاهر ، وغيره مقهور ، كان هو المستحق للعبادة . ! 2 2 ! فيما أمر به ونهى ، وأثاب ،
وعاقب ، وفيما خلق وقدر . ! 2 2 ! المطلع على السرائر والضمائر ، وخفايا الأمور ، وهذا
كله من أدلة التوحيد . ! 2 2 ! لهم لما بينا لهم الهدى ، وأوضحنا لهم المسالك : ^ (
أي شيء أكبر شهادة) ^ على هذا الأصل العظيم . ! 2 2 ! أكبر شهادة ، فهو ! 2 2 ! فلا
أعظم منه شهادة ، ولا أكبر ، وهو يشهد لي بإقراره وفعله ، فيقرني على ما قلت لكم . كما
قال تعالى : ! 2 2 ! . فإن حكيم قدير ، فلا يليق بحكمته وقدرته ، أن يقر كاذبا عليه ،
زاعما أن ا أرسله ولم يرسله ، وأن ا أمره بدعوة الخلق ، ولم يأمره ، وأن ا أباح له
دماء من خالفه ، وأموالهم ونساءهم ، وهو مع ذلك ، يصدق بإقراره وبفعله ، فيؤيده على
ما